

دين البادية

عن لامرتين

للأستاذ التنوخي

عضو المجمع العلمي العربي و كاتب سره

وأولئك الملاحون السابحون الى الأبد على بحار من الرمال ،
قد أ كسبهم الاعتياد أخلاقاً متشابهة ، بمشاهدة مناظر متشابهة ،
وسكنى منازل متشابهة ، وبنقاهم المستمر لخطوات متشابهة ،
في طرقت ومسالك متشابهة ، فسجايهم على ذلك مشابهة لسجية
البادية . لهم لتمسكون بدينهم تمسك اللانهاية بهم ، وأحرار
بكرية الفضاء المكشوف لهم ؛ وجوألون تجوأل الجواد الذي
يقلمهم ، والنساقه التي تحملهم ، والقطيع الذي يتبعهم ؛ وهم
أجاويد مثل الخيمة المفتوحة أبدأ لأخي الأسفار ، أضلته بجاهل
القفار ؛ ومناوير لهم جرأة المدين بحياته لقوة عضلاته ، والمضطر
للذود عن حرته ومأواه ، والدفاع عن مائه ومرعاه ، من
غزوات القبائل والغارات المدماهة ؛ وهم بحكم الماده ميألون
كالوحدة الى الصمت ، ومولعون بالحديث أحياناً ، شأن الانسان
الذي يلاقى بمدطوال الوحشة أخاه الانسان فيجدنه عن كل شئ ،
ويستخبره عن كل شئ ؛ وهم مفطورون على الشعر وعلى التأمل
فطرة الليل والنهار ، والكواكب والآفاق التي يقع عليها أبصارهم
أبدأ ؛ وهم قصاص بارعون لا يضطراهم الى قضاء ساعات الفراغ
الطويلة في سرد الحكايات والأخبار والعجائب إما تحت الخيام أو
حول الآبار تسلياً للقلب من البلبال ، وترجيئة لساعات
الفراغ والملال

قدم تمثال القديس تبرها قبيلات عبادة المؤمنين ، حتى لتضطر
الكنيسة الى تغييرها كما انبرت ليمنرون أولئك الذين ... الخ »
عندئذ فقط عرفت ما شرد عن ذهني ، وعرفت ذلك القديس
العظيم الذي ولد في مصر وفي مطبعة مصر

وعرفت أنه ولد على يد واضع فهرس الأعلام ، وعرفت أن
ذلك الواضع هو أبو ذلك القديس العظيم ! !

أبو مهباج

إن من لم يكتحل بمشاهدة غروب الشمس في ضبابه سحراء من
الجحيم يمسك نورها ذلك الرمل المنتشر ما بين النهرين ، أو بلاد
الكلدان ، ومن لم يراقب طلوع الكواكب مهادية ، ثم
هبوطها في ليالى الشتاء على بحر محيط من الأثير الأزرق ، أعمق
من الفكرة التي تفوس فيه ، وأصق من ماء البحر في رأس
الأرض المنتصب الذي يحول دون لألانه والتجمد ، ومن لم
يسمع همس تلك النباتات المتواليبة من ربح لم يتم في البادية
سكونها ، وكيف تهيم بصوت رخمه في المسامع صروره على
تلك الروابي والهضاب ، وعلى عذبات أوراق الأعشاب ، ومن
لم يطرح طرفه كل مطرح في ذلك الفضاء الذي لا وراء بعده ،
والذي يغيب في الله أفته الرحيب ، ومن لم يبصر في تلك الظلال
الجانبية من الجمال الباركة كيف ترتسم صورها في أجواز السماء ،
وهي جامدة جود تلك الصور الجانبية من ظلال تماثيل أبي المول
الصحريه على سود تلك الرمال المصريه ، من كان هذا شأنه
لا يبح له أن يحكم على ذلك العربي المنتجع لمواطن الماء والسكلاء ،
ولا على ذلك السحر الذي يستهويه ، وبفضاء الله الذي يرضيه

أجل إن تلك الارتسامات والحساسات ، وما يعرف الانسان
في البادية من رساوس وهو اجس لبعيدة المصدر بعداً يخيل معه
للمره أنها صادرة عن اللانهاية نفسها ، وأن تلك الأنوار النهمرة
أمطاراً من النار على الروابي والبوادي ، لم تنهمر قط على سطوح
المدن والقري ، ولا تلوث بالدخان المتصاعد من مداخن المساكن ،
وفي آناه الليل والنهار لا يحول بين الروح وصانعها حائل ، فيشمر
الانسان لذلك يدير خفية لكنها ملموسة ، هي يد الخالق على
خلقه ، ويبصر في كل كحة تجلي الصانع خلال ذلك البحر من
الضياء الذي يغمره ، وفي حدود ذلك الأفق الذي يكتشفه من
التموض ما يخيل للمره أن لا وراء بعده إلا المجهول ، وفي ظلال
الليالى تجوس الأبصار خلال الكواكب فتلحقها أو تسبقها
إلى منازلها ، فهي تشهد بدون حجاب ذلك النظام المحكم ، بل
ذلك الاتقان الناطق بكلمة الايمان !

إن الدين وهذا الايمان المستقر في الأرض منشؤه علم النجوم
في بوادي كلدة ، وإن الحروف التي يتألف منها الاسم الآلهي
تقرأ بأبهر مبنى وأعمق معنى ، وهي منقوشة على ألواح السموات ،

فتح العرب للأندلس

بقلم فريد مصطفى عز الدين

في مدة قصيرة لا تتجاوز عقدين من السنين ، ولا تساوى في حياة الأمم فترة من حياة الأفراد تمكن العرب من تدويح امبراطوريتين كانتا أعظم دول ذلك العهد . فاكنتسحوا الأمبراطورية الفارسية وثلوا عرش أ كاسرتها ، وسودوا دينهم ولقمهم على سكانها ، وكانوا في الوقت ذاته ينتزعون من الامبراطورية البيزنطية ولاياتها الشرقية الواحدة تلو الأخرى . فدخلت سورية الكبرى ومصر ، وطرابلس الغرب ، وتونس والجزائر والشرق الأقصى في دولتهم الفتية ، وانصوى سكانها تحت راية القرآن والدين الحنيف

وكأني بالفتاحين وقد جثموا على الشاطئ الأفريقي ، ورأوا قبائلهم الشاطي* الأوربي لا تفصلهم عنه إلا شقة ضيقة من الماء أخذتهم نشوة النصر والظفر ، ووطنوا العزم الأكيد على تدويحهم وأن يمثلوا مع الأسبان الدور الذي مثله قبلاً مع الفرس والرومان كانت أسبانيا قبل الفتح العربي في حالة اضطراب وفوضى ، تتنازعها الثورات والفتن . والعامل الأكبر في هذا التقلقل والاضطراب راجع الى النظام الاجتماعي الفاسد الذي كان سائداً عندئذ في البلاد . فقد كان سكانها يقسمون الى أربع طبقات هي : (١) الأشراف (٢) سكان المدن (٣) الفلاحون - (٤) العبيد أما الأشراف فكانوا أصحاب النفوذ والسيادة ، غير أنهم انصرفوا في آخر عهدهم عن أمور الدولة الى الهو والبذخ والمجون . وكان سكان المدن - ومعظمهم يهود - يتحملون معظم الضرائب التي كانت عبئاً ثقيلاً على عاتقهم جعلتهم تواقين للخلاص من حالتهم الحاضرة . أما الفلاحون فكانوا وسطاً بين الأحرار والعبيد ، إذ أن التملك كان محرماً عليهم إلا باذن الشريف الذي يقعون في دائرة نفوذه ، ولذا كان القليل النادر منهم ملاكاً . وكان العبيد وهم أكثر السكان عدداً يباعون كالمسحوق ويسامون من المذاب أشكالاً وألواناً . فليس غريباً إذآ أن يهربوا في بعض الأحيان من نير أسيادهم الى الجبال والقفار ، فيعتصموا

وإن الخيلة لتفتدى برؤى السماء ورق الأضواء ؛ وإن التجليات الخارقة الغيبية مع تجسيم الحقيقة بالأوهام ، لا تزال منذ بدء العالم على حالها ، والرجل الدثر برداء التقوى والأيمان لا يتأثر إلا بالانفعال الذي هو به جدير : أعني به انفعال اللانهاية والخلود

إن جميع العقائد المنبعثة من تلك الخلوات منذ عهد الآله (الكوكب) مراكز عوالم زرادشت ، حتى (الله) رب محمد ، ومنذ الآله الشرع (يهوه) موسى ، حتى الآله (الكلمة) التي يبحث عنها متى سجا الليل رعاة بيت لحم

قالعربي (وهو السر المكنون كالكسكون ، والتأمل كالليل ، والمستوحش كالوحدة ، والمصدق بالمعجزات كرقية السحر الخالدة يُستنزل بها الوحي ، ويُسترق بها السمع) ، له من قوة الخواص ما يدرك بها الله في الصحراء أكثر منا : إن حياته لمعبادة أبدية ، فهو لا يلعبه عن الخالق شيء ، ورحابة البادية التي لا حد لها هي معبده والمحراب ، فما كان لهذه الطبيعة أن تلتق والاحداد أبدأ أمع مثل هذه الطبيعة يتاح ليدوي أن يلحد يوماً ؟ خذوا

أي زنديق من زنادقة الغرب ، واقذفوا به بضع سنين الى الشرق تجدوه لا يخرج منه إلا معاق من تلك الماهة الروحية : إن الاحداد لا ينشأ إلا في الظلال ، وفي مواطن الحرمان من التأمل والخيال ، ومدن الغرب التي يصاب فيها المرء بدوار الرأس والخيال ؛ إن الشمس لتستأصل شافة الكفر والاحداد والشبهات ، لأن تلك السموم الباردة لا تنمو إلا في الظلمات ؛ وإن ذلك الفضاء الرحب ، وهو ملك البصر ، لينح العربي من الشعور بكرامته ما هو أشد من البادية عنجبية ، وأكثر منها حرية ، ذلك أن الجماعة تسحق الأفراد والوحدة تسمو بهم ، والمنفرد يشمر بمظلمته في كل حين ، لأنه إنما يقيس نفسه بالنظر الى عظمة الطبيعة وسعة سلطاتها ، لا الى تلك القيمة العددية الخفية التي يمثلها بكيانها بين ظهرائي جمهور لا يُحصى من مدينة غاصة بأحيائها ، وأمة كبيرة بوفرة أبنائها . إن هذا الشعور بالمظمة الذاتية ليحمل من الانسان مخلوقاً غير خليق بالصغار ، وليحمله على إباء الضيق والعبودية ؛ أجل إن العربي ليخضع لدينه ورياسة الأسرة الالهية ، وامادات السادات شريفة العرف المقدسة ؛ ولكنه لا يخضع للقوة الغاشمة أبدأ !

التبرهنى

عضو المجمع العلمى العربى وكانب سره